مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣٣)

تشريعات "عهد سيناء" فى الديانة اليهودية ومدى تأثرها بتشريعات الشرق الأدنى القديم

"دراسة تاريخية تحليلية"

إعداد

د / مجيد جاسم محمد أحمد

المدرس فى قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة الأنبار

السنة ٢٨ العدد (١٠٩) ابريل ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشريعات "عهد سيناء" في الديانة اليهودية ومدى تأثرها بتشريعات الشرق الأدنى القديم دراسة تاريخية تحليلية

د/ مجيد جاسم محمد أحمد

المدرس في قسم التاريخ – كلية الآداب– جامعة الأنبار

المقدمة:

احتلت تشريعات عهد سيناء مكانة مهمة في التاريخ والدين اليهودي منذ بداية ظهور الديانة اليهودية على يد موسى(عليه السلام)، ثم تطورت كفكرة مع تطور الأوضاع الدينية والسياسية لليهود وبتأثير العوامل والظروف التاريخية التي مر بها اليهود خلال العصور المختلفة، وأصبحت هذه التشريعات إحدى المفاهيم الأساسية في الديانة اليهودية، ومحوراً وركيزةً دينية من ركائز الاعتقاد في التراث الديني عند اليهود؛ فقد اعتبرها اليهود بمثابة الكنز الشامل لفلسفتهم وثقافتهم الروحية وذلك لأنها اشتملت، على حد رأيهم، على كل القيم السامية[1].

ونظراً لأهمية تشريعات عهد سيناء في تحديد علاقة الرب ببني إسرائيل، وما نجم عن تلك العلاقة من إيثار الرب لهذه الجماعة واختيارها دون غيرها، وجدنا من الضرورة بمكان دراسة هذا الموضوع دراسةً تاريخيةً تحليليةً بغية معرفة ما إذا كانت تلك الشرائع هي شرائع سماوية تلقاها موسى(عليه السلام) من ربه مباشرةً؟، أم أن تلك الشرائع مستعارة من الشعوب الأخرى في الشرق القديم،والتي كانت قد سبقت وجود بني إسرائيل في منطقة الشرق القديم بأزمان طويلة؟ وبالتالي تصبح تلك الشرائع من عمل محرري العهد القديم الذين جاءوا بعد موسى في فترة اتسمت باستقرار بني إسرائيل في تلك المنطقة بعدما أضاف هؤلاء المحررين لتلك التشريعات ما يتلاءم والتطورات التي حدثت على أوضاع اليهود الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

* تاريخ تسلم البحث {يناير/٢٠١٧م} * تاريخ الموافقة على البحث {إبريل/٢٠١٧م}

(١) الشامي(رشاد عبدالله)، الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبناءً على ما تقدم فقد قسمنا البحث إلى ثلاث محاور:

المحور الأول: تشريعات عهد سيناء وفقاً لرؤية العهد القديم: ونناقش فيه تلك التشريعات وفقاً لما وردت في العهد القديم مع تحليل تاريخي لها.

المحور الثاني: تشريعات عهد سيناء في ضوء قوانين الشرق القديم:وسنعقد فيه مقارنة بين تلك التشريعات والتشريعات السائدة في الشرق القديم بغرض إظهار مدى تأثر بني إسرائيل بالقوانين الشائعة في الشرق القديم من ناحية، وبيان مدى التعديلات التي أدخلها محررو العهد القديم على تلك القوانين لكي تناسب ورؤاهم الدينية من ناحية أخرى.

المحور الثالث: التأثيرات المصرية على تشريعات عهد سيناء: وخصصنا في هذا المحور ذكر التأثيرات المصرية على تلك التشريعات، لعلمنا بأن التأثيرات المصرية تأتي على رأس تلك التأثيرات، نظراً لارتباطها بظهور التشريع على موسى في سيناء على أرض مصر.

المحور الأول– تشريعات عهد سيناء وفقاً لرؤية العهد القديم:

طبقاً لرؤية العهد القديم، توجد روايتان لاختيار بني إسرائيل وإيثارهم على غيرهم من الشعوب الأخرى في الشرق الأدنى القديم، الأولى؛ تعود إلى البطاركة العبرانيين "إبراهيم وإسحاق ويعقوب"؛ والثانية تعود إلى عصر موسى، وتحديداً أثناء خروج بني إسرائيل من مصر؛ وطبقاً لرؤية العهد القديم أيضاً، تم التعبير عن هذه العلاقة في صورة عهد. وهذه العلاقة فيما يبدو ليست علاقة طبيعية، بل إنها علاقة تاريخية، حيث اختلفت رؤية العهد القديم في علاقة بني إسرائيل بإلههم عن علاقة الشعوب الأخرى بإلهتها، فقد نظرت الشعوب القديمة إلى آلهتها باعتبارها عناصر طبيعية، بل إنها اعتبرت بعض ملوكها آلهة. أمّا ديانة بنو إسرائيل، فكان من نصيبها التحول من التفكير الطبيعي المتمثل بتجسيد الآلهة إلى التفكير الديني الذي ينزع إلى الإلوهية باعتبارها الخالقة للطبيعة[1].

لقد كان التعبير عن علاقة إسرائيل بإلهها في صورة عهد، وتكرار تلك العهود في التوراة، ما هو إلاّ محاولة من قبل محرري العهد القديم للتأكيد على وحدة تاريخ بني إسرائيل بصورة عامة من جهة، وربط هذا التاريخ بالإرادة الإلهية من جهة أخرى؛ فالعهد في

(1) حسن(محمد خليفة)، التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية "السامية" القديمة، القاهرة، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، ص١٦٣، ١٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيناء، وفقاً لرؤية محرري العهد القديم، يعود في جذوره إلى العهد مع إبراهيم، الذي يعود بدوره إلى العهد مع نوح. ووفقاً لهذه الرؤية فإن عهد سيناء، يكون تحقيقاً لوعد الرب مع إبراهيم والآباء اللاحقين له؛ لكن رواية عهد سيناء في صورتها الواردة في سفري الخروج والتثنية، يلفها غموض أسطوري، فقد تكونت من عدة خيوط مليئة بالتضاربات[1]؛ لا سيما فيما يتعلق بالقوانين التي سُنّت على بني إسرائيل، إذ تدمج التوراة أربع سنن مختلفة، على الأقل، في قضية "الوصايا العشر"، اثنان منهما يتطابقان إلى حد ما(خر٢٠:١-١٧) و(تث٥:٦-٢١)، ويمكن أن نُطلق عليها بـ"النسخة التقليدية"؛ وواحدة تحتوي نسخة مختلفة تماماً عن الوصايا العشر التقليدية(خر٣٤:١٢-٢٦)، وهي ما يمكن أن نطلق عليها "الوصايا العشر الطقوسية"؛ وأخرى تحتوي ما يزيد على أربعين وصية تضم مجموعة الوصايا الواردة في الإصحاحات من(٢١-٢٣) من سفر الخروج، وهي ما يمكن أن نطلق عليها اسم "الأحكام".

وإذا ما حاولنا عقد مقارنة بين الوصايا العشر التقليدية وبين الوصايا العشر الطقوسية، لوجدنا اختلافاً واضحاً بينهما، وأن الالتقاء بينهما يمكن تحديده بثلاث نقاط فقط هي:

- أن المجموعتين تحرمان عبادة الآلهة الأخرى، مع تأكيد النسخة الطقوسية على ضرورة تدمير الرموز الدينية للشعوب الأخرى من قبل بني إسرائيل(خر٣٤:١٣).
- أن المجموعتين تحرمان أيضاً النحت التصويري، وإن كان التحريم في الوصايا الطقوسية أقل حزما(خر٣٤:١٧).
- تطالب مجموعتا الوصايا، بالالتزام بالسبت، لكن الوصايا الطقوسية تمدد هذا الالتزام ليطال مناسبات دينية أخرى(خر٣٤:٢١-٢٢).

وفي هذا الصدد، يرى بعض الباحثين أمثال "جرينبرج*Greenberg*"[2]، "أن وجهة النظر التي تعبر عنها الوصايا العشر الطقوسية تبدو أكثر منطقية كأساس لعهد الرب مع بني

---

(1) קויפמן(יחזקאל)، תולדות האמונה הישראלית מימי קדם עד סוף בית שיני، כרך שני، הוצאת מוסד ביאליק ירושלים- דביר، תל- אביב، הדפסה שמינית בדפוס כתר ירושלים، תשל"ב(1972)،עמ'67.

(2) جرينبرج(جاري)، ١٠١ أسطورة توراتية (كيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي)، ترجمة: دينا إمام، دار العين للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة،١٤٣٤هـ-٢٠١٣م،ص٢٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إسرائيل، من وجهة النظر التي تعرضها الوصايا التقليدية"، مضيفاً: "إن تحريم الإساءة للآخرين كان شيئاً معروفاً ومنتشراً في المجتمعات القديمة، إذ كان الجميع على دراية بأن القتل والسرقة والكذب من الآثام، فليس من الضروري، أن يجعل الرب منها شروطاً لعهده الخاص مع بني إسرائيل؛ فكان حرياً بأي عهد يقطعه الرب أن يرتكز على شروط ملزمة للناس بطاعته وإحسان معاملته، وليس بإحسان معاملة الآخرين من البشر".

أمّا عند مقارنة الوصايا التقليدية بالأحكام، فنجد أن تلك الأحكام قد تضمنت الوصايا العشر التقليدية في نصها الكامل، لكن عرضها للأوامر الإلهية كان مختلفاً بشكل واضح عن عرض النسخة التقليدية للوصايا؛ فبينما لا تقدم لنا الوصايا العشر الطقوسية أي تفسير عن قدسية يوم السبت مثلاً(خر٢٠:٨)، فإن الأحكام تقدم تفسيراً لها: "سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ عَمَلَكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ تَسْتَرِيحُ، لِكَيْ يَسْتَرِيحَ ثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ، وَيَتَنَفَّسَ ابْنُ أَمَتِكَ وَالْغَرِيبُ»(خر٢٣:١٢).

كما وأن رواية عهد سيناء في صورتها الواردة في الإصحاحات من(١٩-٢٣) من سفر الخروج، والمتضمنة رواية صعود موسى وتلقيه الوصايا العشر وأحكام الشريعة على الجبل الذي أطلق عليه العهد القديم أحياناً اسم "جبل حوريب"، وأحياناً أخرى "جبل سيناء"[١]، اشتملت هي الأخرى على بعض المشاكل النقدية والأدبية إذا ما قورنت برواية الإصحاح الرابع والعشرين من السفر نفسه، والذي يتحدث عن رواية قطع عهد سيناء أيضاً؛ ففيما يتعلق برواية صعود موسى وتجلي الرب له، التي يوردها الإصحاح التاسع عشر مثلاً، نجد ثلاث روايات هي:

الرواية الأولى:"وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى الرَّبِّ. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً: «هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ»(خر١٩:٣).

(١)الجدير بالذكر أن اسم "سيناء" قد ورد في العهد القديم للدلالة على جبل سيناء(طور سيناء)، أو للدلالة على برية سيناء. أمّا الاسم "حوريب"، الذي يعني "خراب، أو قفر" فقد استخدم للدلالة على الجبل والبرية معاً(انظر تث١،٦:٢، ١٩؛١٥:٤، ١٠:٥؛٢:٩؛٨:١٨؛١٦:١؛٢٩؛١٦) في حين استخدم في بعض المواضع، لا سيما في سفر الخروج (١٣:١:١٧؛٦:٣٣؛٦) للإشارة إلى جبل سيناء وبرية "رفيديم"، التي تبعد حوالي عشرين ميلاً إلى الشمال الغربي من جبل سيناء. أنظر: بباوي(وليم وهبه)، دائرة المعارف الكتابية، ثمان مجلدات،الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م،ص٤٨٥-٤٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرواية الثانية: «وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، وَدَعَا اللهُ مُوسَى إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ مُوسَى»(خر ١٩: ٢٠).

الرواية الثالثة: فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبِ انْحَدِرْ ثُمَّ اصْعَدْ أَنْتَ وَهَارُونُ مَعَكَ. وَأَمَّا الْكَهَنَةُ وَالشَّعْبُ فَلاَ يَقْتَحِمُوا لِيَصْعَدُوا إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمْ»(خر ١٩: ٢٤).

وفيما يتعلق برواية تجلي الرب لموسى، فنجد صورتين مختلفتين على النحو التالي:الرواية الأولى: فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى:«هَا أَنَا آتِي إِلَيْكَ فِي ظَلاَمِ السَّحَابِ لِكَيْ يَسْمَعَ الشَّعْبُ حِينَمَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ، فَيُؤْمِنُوا بِكَ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ»(خر ١٩: ٩).

الرواية الثانية:«وَكَانَ جَبَلُ سِينَاءَ كُلُّهُ يُدَخِّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الأَتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ»(خر ١٩: ١٨).

ويبدو أن سبب هذا الاضطراب في رواية صعود موسى وتجلي الرب له، يعود إلى أن الإصحاح قد اشتمل على أكثر من وحدة أدبية، أو على عدد من التقاليد المختلفة في النص الواحد؛ فيرى "بيارلين ביאַרלין"[1] مثلاً: أن الإصحاح يتضمن روايتين متوازيتين، أُضيفت إليهما إضافات متأخرة، حيث نُسبت الرواية الأولى إلى المحرر الإلوهيمي، وتشمل العبارات التالية: ٢ب–٣أ، ١٦أ–١٧، ١٩، ٢٥؛ ونُسبت الرواية الثانية إلى المحرر اليهوي، وهي متضمنة في العبارات: ٩أ، ١٠–١١أ، ١٢–١٣أ، ١٤–١٦أ، ١٨. ثمَّ أُضيفت إلى هاتين الروايتين في فترة متأخرة العبارات التالية:١١ب، ٢٠–٢٤، ١–٢أ، وهي من عمل المحرر الكهنوتي.

أمّا فيما يتعلق برواية صعود موسى الواردة في الإصحاح الرابع والعشرين، التي تبدو بأنها رواية مركبة خاصة إذا ما ربطناها برواية الإصحاح التاسع عشر من السفرنفسه، فإنها تعطي ثلاث روايات مختلفة على النحو التالي:

الرواية الأولى: وتشمل العبارات ٢٤: ١–٢، ٩–١١، وتتضمن هذه العبارات دعوة موسى وهارون وناداب وسبعين من شيوخ إسرائيل إلى الجبل، ورؤيتهم الرب وأكلهم وشربهم هناك.

(1) אופנהיימר، הנביאה הקדומה בישראל، האוניברסיטה העברית، ירושלים، תשמ"ד (1984)، עמ' 90.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرواية الثانية: وتشمل العبارات ٢٤:٣-٨، ١٢-١٤، ١٨ب، وتشمل صعود موسى وحده وتلقيه ألواح العهد، ومخاطبة بني إسرائيل بأحكام العهد، وقبولهم الالتزام بها، ثم ذكر طقس العهد، من غير أن ترد إشارة إلى ظهور الرب.

الرواية الثالثة: وتشمل العبارات ٢٤:١٥-١٨أ، وتشير إلى صعود موسى وحده إلى الرب، وبقائه على الجبل لمدة ستة أيام قبل رؤية مجد الرب، أي أن رؤية الرب ليست مباشرة كما في الرواية الأولى.

وإذا ما حاولنا عقد مقارنة بين رواية الصعود الواردة في الإصحاح التاسع عشر، والرواية الواردة في الإصحاح الرابع والعشرين، لوجدنا أن الاختلاف يكمن في أن روايات الإصحاح التاسع عشر، لم تشر أبداً إلى شيوخ بني إسرائيل السبعين، كما لم تشر إلى "يشوع" خادم موسى، علاوة على ذلك نلاحظ عدم وجود أي تشابه أو تناظر لعملية ظهور الرب "يهوه" في الروايتين؛ أمّا التشابه بين روايتي الإصحاحين، فيكمن في أن رواية الصعود الأولى والثانية الواردة في الإصحاح التاسع عشر تشابه رواية الصعود الثانية والثالثة الواردة في الإصحاح الرابع والعشرين، علاوة على تشابه الروايتين فيما يتعلق بموافقة بني إسرائيل على الالتزام بالوصايا والأحكام التي تلقاها موسى[1].

إن وجود أكثر من نص للوصايا العشر، علاوة على اختلافها، يؤكد أن كاتب نصوص العهد القديم، ومن ضمنها نصوص الوصايا العشر، لم يكن موسى(عليه السلام)، لا سيما وأن تقديس يوم السبت مثلاً، واعتباره يوماً للراحة في مجتمع بدوي لم يكن له أي مغزى، إذ أن حياة بني إسرائيل آنذاك كانت تتسم بالتجوال كونهم رعاة؛ وعليه فإن نصوص الوصايا العشر، إنما كان من صياغة المحررين الذين جاءوا بعد موسى في فترة اتسمت باستقرار بني إسرائيل في أرض كنعان، وهي الفترة التي شهدت تأسيسهم الملكية في تلك الأرض.

على أي حال، فقد ارتبط برواية صعود موسى وتلقيه الوصايا والأحكام الإلهية ذكر طقسين مختلفين لقطع العهد سنذكرهما هنا باختصار، وهما:

---

(1) هويدي احمد، فكرة العهد نشأتها وتطورها في الديانة اليهودية من خلال العهد القديم، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٤٣-١٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ- طقس رش الدم:

يرد طقس رش الدم في رواية عهد سيناء(خر٢٤:٦-٨). وهذا الطقس لم يكن طقساً خالصاً لبني إسرائيل، حيث وجد عند البابليين[١]واليونان، إلّا أن الاختلاف بينهما يكون تبعاً لاختلاف المفاهيم، التي تصاحب هذا الطقس[٢]؛ فوفقاً لتلك النصوص:«فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ. وَنِصْفَ الدَّمِ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ. وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ:هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ»، حيث تظهر القداسة في هذه النصوص من خلال رش الدم على المذبح؛ أمّا جوهر الطقس فيكمن بالتزام بني إسرائيل بعمل الوصايا والأحكام، دون الإشارة إلى التزامات على الرب في مقابل ذلك، ولكن يكون لهم وعداً بالرحمة.

لقد تميزت الطقوس الدينية في التوراة باستخدام الدم باعتباره من المواد المطهرة، فالقانون الوارد في سفر اللاويين(١٤:٤٩-٥٣) مثلاً، يشير إلى استخدام "دم العصفور" من أجل تطهير البيت الذي تظهر فيه النجاسة، وهذا الطقس تم استخدامه من قبل الحيثيين أيضاً، فقد استخدموا دم العصفور من أجل تطهير بيوتهم شأنهم في ذلك شأن بني إسرائيل[٣].

ب- طقس وجبة الأكل:

يرد طقس وجبة الأكل في روايات العهود الدينية والدنيوية على حدٍ سواء. فالعهد الذي قطعه إسحاق لأبيمالك صاحبه وجبة أكل(تك٢٩:٣٠)، وكذلك عهد يعقوب مع لابان(تك٣١:٥٤)؛ وكان هذا الطقس من الطقوس الشائعة لدى الشعوب القديمة، فقد وجد عند العرب، وكان الغرض منه، تأكيد الأخوة بين القبائل والعشائر؛ بل أن بعض الباحثين أمثال "فينفلدWeinfeld"[٤]، كان يرى أنه طقس عربي الأصل.

---

(١) انظر حز٢١:٢١.

(٢) سمث(مونت.و)،العهد رحلة من الاغتراب إلى المصالحة، ترجمة: عاطف المرفوض، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م، ص٩٢.

(٣) قنوهل(إسرائيل)، من أين جئنا؟ بنو إسرائيل النشأة والتطور الديني الشفرة الوراثية للعهد القديم، ترجمة: عمرو زكريا، مكتبة النافذة، (د.ت)، ص١٧٤.

(٤) نقلاً عن: هويدي احمد، فكرة العهد نشأتها وتطورها في الديانة اليهودية من خلال العهد القديم، ص١٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ووفقاً لما يرد في سفر الخروج(٢٤:٩-١١)، فإن تناول بني إسرائيل، ممثلين بكل من "مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ"، لوجبة الأكل أمام الرب يعطي العهد صفة القداسة، ومن ثم يُدخل بني إسرائيل في علاقة أسرية مع الرب[١].

المحور الثاني- تشريعات عهد سيناء في ضوء قوانين الشرق القديم:

لقد تضمن عهد سيناء علاوة على الطقوس الآنفة الذكر، أحكاماً وقوانيناً عديدة، كانت شائعة لدى الشعوب القديمة، ويمكن تقسيم هذه القوانين إلى مجموعتين: أحدها دينية؛ وأخرى دنيوية. وبغرض إظهار مدى تأثر بني إسرائيل بالقوانين الشائعة في الشرق القديم، والتعديلات التي أدخلها محررو العهد القديم على تلك القوانين لكي تناسب رؤاهم الدينية، سنذكر هنا بعض هذه الأحكام:

١- الأحكام الدنيوية:

أ- الأحكام الخاصة بالعبيد والإماء(خر٢١:٢-١١، ٢٠-٢١، ٢٦-٢٧):

يميز عهد سيناء بين نوعين من الأحكام الخاصة بالعبيد، إحداهما: الأحكام الخاصة بالعبد الذكر(خر٢١:٧-١١). وتحتل هذه الأحكام مكانة مهمة في مجموعة قوانين عهد سيناء الدنيوية، وذلك لاختلاف أحكام العبودية في هذا العهد عن تلك الأحكام الشائعة في الشرق القديم؛ فقد كان من الشائع لدى الشعوب القديمة، الاحتفاظ بالعبد حتى موته، أي أن عبوديته أبدية، وتنتقل بالوراثة، مثلما تنتقل الأموال والممتلكات الأخرى من الآباء إلى الأبناء، وذلك طبقاً لرؤية، أن العبد وما يملك لسيده[٢]، إذ لم ترد إشارة إلى تحرير العبيد في قوانين الشرق القديم، لا سيما في قوانين "أشنونا"[٣](المواد من ٥١-٥٢)، أو قوانين

---

[1] Kent (Charles F0ster), A History Of The Hebrew People From The Settlement In Canaan To The Division Of The Kingdom, Charles Scribner's Sons, New York, 1929, p.42.

(٢)صالح(عبد العزيز)، الشرق الأدنى القديم(مصر والعراق)، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٦٨٠.

(٣)قوانين أشنونا. تُنسب هذه القوانين إلى الملك "بلالاما"(نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني ق.م). تم العثور عليها في "تل حرمل"(شدوبوم) الأكدية، وهي أقدم بعض الشيء من شريعة حمورابي، وتتضمن هذه التشريعات تسعاً وخمسين مادة مدونة باللغة الأكدية القديمة. أنظر: عبودي(هنري.س)، معجم الحضارات السامية، جروسبرس، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م،ص٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"حمورابي"[1](المواد من٢٧٨-٢٨٢)؛ أمّا قوانين "لبت عشتار"[2]، فإنه تُعطي العبد حريته في حالة تعرضه لأذى أو ضرر من قبل سيده(المادة١٤)[3].

أمّا قوانين عهد سيناء، فإنها تعطي قانوناً واضحاً بهذا الخصوص "إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ، وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَّانًا»(خر٢١:٢)؛ كما يمكن للعبد أن يكون عبداً للأبد، وهذا يرتبط بإرادته هو وليس بإرادة سيده(خر٢١:٥-٦). وهنا يكمن الفرق ما بين قوانين العبودية الواردة في عهد سيناء، وقوانين العبودية في الشرق القديم؛ علماً بأن قوانين عهد سيناء تخص العبيد العبرانيين فقط، دون أن تشير إلى كيفية معاملة العبيد من غير العبرانيين.

أمّا فيما يتعلق بالقوانين الخاصة بالأَمة، فإنه ووفقاً لرواية العهد القديم يُسمح للرجل أن يتخذ زوجةً ثانيةً غير الأولى، و غالباً ما تكون الزوجة الثانية من الجواري، ومثال على ذلك "هاجر" سارية سارة، التي أصبحت زوجةً لإبراهيم(تك١٦:١-٣)، وكذا في قصة يعقوب وزوجتيه "ليئة وراحيل"، حيث منحتا كل منهما جاريتيهما "زلفة وبلهة" ليعقوب(تك٣٠:٣-٤، ٩-١٠). وقانون وهب الزوجة أمتها لزوجها، لم يكن تجديداً خاصاً بالعبرانيين، حيث وجد كذلك في قوانين حمورابي(المواد١٤٦-١٤٧)، لكن الاختلاف بينهما يتضح من خلال

---

(١)قانون حمو رابي. تُعد قوانين حمورابي من أوائل القوانين التي وصلت من الشرق القديم، لكنها ليست الأقدم؛ فقد تم سن عدة قوانين مماثلة من قبل عدد من الملوك، ممن حكموا بلاد الرافدين في فترة سابقة على حمورابي، الذي حكم بين عام ١٧٩٢ وعام ١٧٥٠ق.م، لكن لم يصل من هذه القوانين إلا أجزاء مبعثرة، وأمثال هذه القوانين: قوانين عهد أوركاجينا(٢٣٦٠ق.م)، وقوانين سرجون الأكادي(٢٣٠٠ق.م)، وقوانين أورنامو(٢١٠٠ق.م)، وقوانين لبت عشتار(١٩٣٠ق.م)؛ مما يعني أن حمورابي قد استفاد ممن سبقوه في سن قوانينه التي تكونت من مئتين واثنتين وثمانين مادة؛ علماً بأن هذه القوانين، لم تتضمن أحكاماً دينية أو عقوبات أخروية، على الرغم من أنها قد جاءت بوحي من معبود البابليين الإله "شيمش". للمزيد من التفصيل انظر: الحمداني(شعيب أحمد)، قانون حمورابي، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨، ص١٣-٣٣؛ وانظر ايضاً: مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي وأصل التشريع دراسة مقارنة لشرائع الشرق القديم، ترجمة: أسامة سراس، دار علاء الدين، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣، ص٩-١٠.

(٢)قوانين لبت عشتار: هي مجموعة القوانين التي نُسبت تسميتها إلى ملك مدينة آيسن السومرية المدعو "لبت عشتار"(١٨٥٠ق.م)، الذي عرُف بنزعته الإصلاحية. وقد تم العثور على هذه التشريعات مكتوبة على لوح كبير يتضمن عشرين عموداً طويلاً. وتحتوي على ثلاثة أقسام، شأنها في ذلك شأن شريعة حمورابي، وهي: المقدمة، النص، الخاتمة، وتشتمل على ثمان وثلاثين مادة. عبودي، معجم الحضارات السامية، ص١٥٧.

(٣)من الجير بالإشارة إلى أن الباحث قد اعتمد في حديثه عن شرائع "البت عشتار، وأشنونا، وحمورابي" على ترجمة أسامة سراس لكتاب "شريعة حمو رابي وأصل التشريع دراسة مقارنة لشرائع الشرق القديم"، الذي قام بتأليفه مجموعة من المؤلفين، دار علاء الدين، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقوق الزوجة الأمه؛ إذ لم يكن للأمة في قوانين الشرق القديم الحقوق نفسها التي كانت للزوجة الأولى(حمورابي المواد١٤٤-١٤٥)، في حين ساوى قانون عهد سيناء في المعاملة ما بين الزوجتين، وفي حالة عدم المساواة، تُطلق الأمة حرة(خر٢١:١٠-١٢).

ب- أحكام القتل(خر٢١:١٢-١٤):

يميز قانون عهد سيناء بين نوعين من القتل أحدهما: القتل العمد، الذي تكون عقوبته الموت«مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلاً»، «وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ»(خر٢١:١٢،١٤)؛ وثانيهما: القتل غير العمد، الذي تكون عقوبته غير محددة: "وَلكِنَّ الَّذِي لَمْ يَتَعَمَّدْ، بَلْ أَوْقَعَ اللهُ فِي يَدِهِ، فَأَنَا أَجْعَلُ لَكَ مَكَانًا يَهْرُبُ إِلَيْهِ»(٢١:١٣)، وقد وردت قائمة مفصلة بمدن الملاذ التي أوردها النص السابق في مواضع أخرى خارج نطاق سفر الخروج(أنظرتث١٩:١-١٣؛عد٣٥:٩-١٥).

ويبدو هنا أن الغرض من النفي إلى مدن الملاذ، هو حماية القاتل من عشيرة القتيل التي لم تفرق بين القتل العمد وغير العمد، وغالباً ما كانت تلجأ إلى الثأر، حيث أن قانون الثأر كان متأصلاً في بيئة الشرق القديم، ولا تزال آثاره ظاهرة حتى الوقت الحاضر.

وبينما كانت قوانين سيناء تحذر من أخذ فدية عن القتل العمد، وهو ما تم تأكيده في مواضع من العهد القديم، حيث ورد في سفر العدد(٣٥:٣١): «وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَةً عَنْ نَفْسِ الْقَاتِلِ الْمُذْنِبِ لِلْمَوْتِ، بَلْ إِنَّهُ يُقْتَلُ»، نجد في قوانين الشرق القديم، لاسيما قانون حمورابي، أنه من الجائز الأخذ بمبدأ التعويض عن القتل العمد (المادة٢٤، ٢٠٩،٢٠٨،٢٠٧)، وكذا في قوانين أشنونا(٤٧-٤٨).

ج- أحكام ضرب أو لعن الوالدين(خر٢١:١٥،١٧):

تشدد قوانين العهد في العقوبة على من ضرب أو لعن والديه، حتى تصل تلك العقوبة إلى حد القتل «وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً»(خر٢١:١٥)، وكذلك «مَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً»(خر٢١:١٧).

وتتبع حرمة وشدة هذا القانون، من الدعوة إلى تكريم الأب والأم وعدم إهانتهما، وهي وصية من الوصايا العشر(خر٢٠:١٢). وفي مقابل هذا التشدد في الحكم من قبل قوانين عهد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيناء، نجد قانون حمورابي أكثر تخفيفاً، حيث نصَّ على أن تكون عقوبة فاعل هذا الأمر، قطع اليد فقط(المادة١٩٥).

د- أحكام السرقة(خر ٢١:١٦؛ ٢٢:١-٤):

تفرق قوانين عهد سيناء شأنها في ذلك شأن بقية قوانين الشرق القديم بين نوعين من السرقة: الأولى، خاصة بسرقة الإنسان؛ والأخرى خاصة بسرقة الحيوان. وتتشابه عقوبة سارق الإنسان في كل من قوانين عهد سيناء وقوانين الشرق القديم، لا سيما قانون حمورابي في أن العقوبة، هي القتل؛ إلّا أن قوانين سيناء لم تحدد نوع أو جنس الإنسان المسروق «وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلاً»(خر ٢١:١٦). والواضح من العبارة أن هدف السرقة، هو بيع المسروق عبداً، ونفس هذا المعنى نجده في قانون حمورابي، وإن كان هذا القانون قد حدد جنس المسروق بأنه طفل(المادة١٤).

أمّا السرقة الخاصة بالحيوان، فقد تنوعت حالات العقوبة طبقاً للوضع الذي يوجد عليه الشيء المسروق، وفي جميع الأوضاع تكون العقوبة مبنية على مبدأ التعويض(انظر خر٢٢:١،٤)؛ أمّا إذا تم مسك السارق متسللاً، فتنطبق عليه عقوبة القتل(٢٢:٢)، وإذا كان غير متسللاً ينطبق عليه مبدأ التعويض(خر٢٢:٣)، ونفس هذه العقوبة نجدها في قانون أشنونا(المادة١٢،١٣)؛ أمّا في قانون لبت عشتار، فينطبق على السارق مبدأ التعويض حتى وإن كان متسللاً(المادة:٩).

وفي مقابل هذا التخفيف في عقوبة سرقة الحيوان في عهد سيناء، نجد أن قانون حمورابي كان أشد صرامة وقسوة في هذا الأمر، فقد ميّز قانون حمورابي العقاب وفقاً للطبقة الاجتماعية التي وقعت عليها السرقة، فنجد نص المادة الثامنة من هذا القانون يقول: "إذا سرق رجل ثوراً أو شاةً أو حماراً أو خنزيراً أو قارباً كان في أملاك إله، أو من أملاك قصر، يدفع ثلاثين مثلاً. وإن كان من أملاك قروي، يُرد عشرة أمثاله. أمّا إن لم يكن لدى اللص ما يدفعه، يُقتل".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبدو أن هذا التشدد في الأحكام البابلية، كان الغرض منه إمّا التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها، أكثر من كونها قوانين قابلة للتطبيق الحرفي؛ أو قد تكون مرتبطة بتعاليم دينية مشددة إلى حد ما؛ أو قد تكون رد فعل لشيوع الفساد في مجتمعها[1].

هـ- أحكام الأضرار(خر ٢١:١٨-٣٦؛ ٢٢:٥-٦):

تميز قوانين عهد سيناء بين نوعين من الأضرار، أولهما: الأضرار الناجمة عن إنسان تجاه إنسان آخر(خر ٢١:١٨-٢٧)، وتكون العقوبة في مثل هذا الأمر على مبدأ "المثل بالمثل"، أي «نَفْسًا بِنَفْسٍ، وَعَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًّا بِسِنٍّ، وَيَدًا بِيَدٍ، وَرِجْلاً بِرِجْلٍ، وَكَيًّا بِكَيٍّ، وَجُرْحًا بِجُرْحٍ، وَرَضًّا بِرَضٍّ(خر ٢١:٢٣-٢٥).

وهذه المجموعة القانونية لم تكن تجديداً عبرانياً خالصاً، بل وجدت كذلك في قوانين الشرق القديم، لا سيما في قانون حمورابي، الذي ميّز نوع العقوبة، وفقاً للطبقات الاجتماعية(المواد من ١٩٦-٢٠١)، حيث تعالج المواد(١٩٦،١٩٧،٢٠٠) طبقة الأشراف في المجتمع، بينما تعالج المواد(١٩٧،١٩٩،٢٠١) الطبقات الأخرى. وربما يكون هذا القانون من التجديدات التي أوجدها حمورابي، إذ لم يوجد لهذه القوانين مقابل في القوانين الأقدم، خاصة قانون لبت عشتار وأشنونا[2].

أمّا الجديد الذي أدخلته قوانين عهد سيناء على هذا القانون، فهو مبدأ المساواة؛ ففي سفر اللاويين(٢٢:٢٤) نقرأ: «حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ»؛ وفي سفر العدد(١٦:١٥) نقرأ: «شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ».

ومن الأضرار الأخرى التي يتسبب بها الإنسان تجاه إنسان آخر، تلك الواردة في سفر الخروج(٢٢:٥-٦):«إِذَا رَعَى إِنْسَانٌ حَقْلاً أَوْ كَرْمًا وَسَرَّحَ مَوَاشِيَهُ فَرَعَتْ فِي حَقْلِ غَيْرِهِ، فَمِنْ أَجْوَدِ حَقْلِهِ، وَأَجْوَدِ كَرْمِهِ يُعَوِّضُ. إِذَا خَرَجَتْ نَارٌ وَأَصَابَتْ شَوْكًا فَاحْتَرَقَتْ أَكْدَاسٌ أَوْ زَرْعٌ أَوْ حَقْلٌ، فَالَّذِي أَوْقَدَ الْوَقِيدَ يُعَوِّضُ»، أي أن العقوبة في هذه الحالة تكون عن طريق التعويض.

(١) صالح، الشرق الأدنى القديم(مصر والعراق)، ص٧٠٦.
(٢) المرجع السابق، ص٦٩٧،٧٠٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والناظر إلى هذا النص بتمحيص، يجد أن بني إسرائيل إنما عرفوا تلك القوانين في فترة متأخرة، تعود إلى فترة استيطانهم واستقرارهم في أرض كنعان، ويُستدل على ذلك من حقول الكرم الآنفة الذكر، إذ أن من المعلوم بأن بني إسرائيل لم يعرفوا الزراعة إلّا بعد استقرارهم في تلك الأرض.

أمّا النوع الثاني من الأضرار، فهي تلك الناجمة عن الحيوانات والتي تُحدث أضراراً إمّا بالإنسان أو بالحيوان، حيث ترد مجموعة الأحكام المتعلقة بالأضرار التي يتسبب بها الحيوان تجاه الإنسان في سفر الخروج(٢١:٢٨-٣٦)، وتكون عقوبة الحيوان المسبب للضرر في جميع الأحوال، هي الرجم(خر٢١:٢٨، ٣١-٣٢).

أمّا الأضرار الناجمة من حيوان تجاه حيوان آخر، فقد تم التمييز بين نوعين من الأضرار والعقوبة التي تنشأ عنهما: "إِذَا نَطَحَ ثَوْرُ إِنْسَانٍ ثَوْرَ صَاحِبِهِ فَمَاتَ، يَبِيعَانِ الثَّوْرَ الْحَيَّ وَيَقْتَسِمَانِ ثَمَنَهُ. وَالْمَيْتُ أَيْضًا يَقْتَسِمَانِهِ. لكِنْ إِذَا عُلِمَ أَنَّهُ ثَوْرٌ نَطَّاحٌ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَضْبِطْهُ صَاحِبُهُ، يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِثَوْرٍ، وَالْمَيْتُ يَكُونُ لَهُ».

٢- الأحكام الدينية والطقوسية(خر٢٠:٢٢-٢٦؛ ٢٣:١٠-١٩):

تشير مجموعة الأحكام الدينية الواردة في سفر الخروج(٢٠:٢٢-٢٦) إلى عبادة الرب "يهوه"، وكيفية بناء مذبح للرب. وتفترض قصص التوراة، من خلال التشريعات التي تضمنها عهد سيناء، أن بني إسرائيل كانوا يقدمون محرقات وقرابين وهم بعد في الصحراء، قبل أن يستقروا في أرض كنعان. ويبدو أن نصوص أخرى خارج التوراة تناقض ذلك؛ فقد ورد في سفر عاموس(٥:٢٥):«هَلْ قَدَّمْتُمْ لِي ذَبَائِحَ وَتَقْدِمَاتٍ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟»؛ كما ورد في سفر أرميا(٧:٢٢): «لأَنِّي لَمْ أُكَلِّمْ آبَاءَكُمْ وَلاَ أَوْصَيْتُهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مُحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ».

ففي التوراة روايات قديمة عن القرابين في التيه كما في(خر٣:١٨؛ ٥:٣، ٨،١٧؛ ١٠:٢٥،١٨؛ ٣٢:٦،٨؛ و تث١٢:٦-١٤؛ و عد٢٢:٤٠؛ ٢٣:١، ١٤،٢٩)، وإذا نظرنا إلى الشواهد من منظور النقد الأدبي الحديث، ونحينا جانباً كل الفقرات الواردة في المصادر الكهنوتية باعتبارها نصوص متأخرة، وعدنا بالتثنية إلى أواخر عصر المملكة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلا بد أن نقر بعدم توافر معلومات عن الشعائر القربانية في التيه؛ فمن بين النصوص الآنفة الذكر، لا سيما ما ورد في سفر الخروج(٣:١٨)، نجد أنها تتحدث عن القرابين التي شُرع تقديمها للرب، لا تلك التي تُقدم بالفعل؛ وفي سفر الخروج(١٨:١٢)، نجد أن "يثرون"، حمو موسى، هو الذي يقدم القربان، وهو ليس من بني إسرائيل؛ وكذا نجد في سفر العدد(٢٢:٤٠؛ ٢٣:١، ١٤، ٢٩) أن "بالاق"، وهو شخص أجنبي ولم يكن أيضاً من بني إسرائيل[١].

وهذا يعني أن هذه الأحكام الطقوسية، تُعد إضافات متأخرة إلى عهد سيناء، فالعبارة الواردة في سفر الخروج(٢٠:٢٦):«وَلاَ تَصْعَدْ بِدَرَجٍ إِلَى مَذْبَحِي كَيْلاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَتُكَ عَلَيْهِ»، تشير صراحة إلى مجتمع مستقر يتم فيه بناء مذبح لتقديم القرابين للرب، وذلك لم يحدث لبني إسرائيل في زمن موسى، ولكنه تم في عصر الاستيطان في أرض كنعان.

على أي حال، فإن من مجموعة الأحكام الدينية الأخرى في عهد سيناء- ما نجده في سفر الخروج(٢٣:١٠-١٩)، حيث الإشارة إلى أهمية السنة السابعة، وما يحدث بعد ست سنوات، علاوة على الإشارة إلى يوم الراحة(السبت)، وتحريم إقامة أي عمل فيه، وتقديسه وجعله يوماً أخلاقياً، بل أن من يدنسه يعاقب بالموت(لا٣١:١٤-١٧؛ عدد٢٣:٣)؛ فتقديس يوم السبت في ديانة بني إسرائيل مرتبط بانتهاء الرب من خلق العالم(تك٢:١-٣)، وهو يمثل علاقة العهد بين بني إسرائيل وإلههم(خر٣١:١٣)؛ لكن وجود يوماً للراحة ليس تجديد عبراني خاص ببني إسرائيل، حيث وجد يوماً للراحة عند البابليين من قبل[٢]، بيد أن اليهودية، فيما بعد، قد أضفت عليه صبغة القداسة بجعله أمراً إلهياً، من ناحية؛ وجعلت

---

(١) دوفو(رولان)، بنو إسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم، ترجمة: عبد الوهاب علوب، في مجلدين،(المجلد الثاني)، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد: (٤٢)، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص٧٠٦، ٧٠٨.

(٢) من الجدير بالذكر، أن أسماء أيام الأسبوع، التي ما زالت محفوظة بين الشعوب الغربية يذكرونها كلما نطقوا باسم أي يوم من أيام الأسبوع، إنما ترجع في أصلها إلى أسماء الآلهة البابلية القديمة؛ فقد جرت العادة لدى البابليين على عبادة كل إله من آلهتهم في يوم معين خاص بكل إله، وكانت عبادة كل إله من هذه الآلهة تتكرر بعد مرور سبعة أيام. فعلى سبيل المثال، كان اليوم المكرس لعبادة الشمس هو يوم الأحد، أي(يوم Day الشمس Sun)، وبات اليوم المخصص بعبادة القمر، أي(يوم Day القمر Mon)، وهكذا حتى نهاية الأسبوع؛ في حين عُرف اليوم الأخير المخصص لعبادة "زحل" بـ "يوم ساتورز"، وهو يوم السبت. للمزيد من التفصيل انظر: برستيد(جيمس هنري)، انتصار الحضارة(تاريخ الشرق القديم)، ترجمة: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، العدد:(١٨٠٩)، القاهرة، ٢٠١١م،ص٢٣٣-٢٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منه علامة للعهد بين بني إسرائيل وإلههم[١]. وهذا يدعو للقول، بأن مبدأ هيجل "الحلولي"[٢]، قد انطبق على ديانة بني إسرائيل؛ إذ أن أساس ديانة بني إسرائيل، كما يقول أحد الباحثين[٣]، ديانة الشعوب القديمة، مما يعني أن ديانة الشعوب القديمة قد حلت في ديانة هذه الجماعة.

ويشمل عهد سيناء إلى جانب قيمة السنة السابعة وأهمية يوم السبت، الإشارة إلى ثلاثة أعياد رئيسة هي: عيد الفطير، وعيد الحصاد، وعيد الجمع؛ وهي أعياد ذات طبيعة زراعية، فالاحتفال بها مرتبط بحصاد الشعير والقمح والكرم؛ وكما سبق أن أشرنا منذ قليل، أن بني إسرائيل لم يعرفوا الزراعة إلّا بعد استقرارهم في أرض كنعان، وهو ما يرجح أنهم استمدوها من الكنعانيين سكان الأرض الأصليين، وأضفوا عليها صبغة القداسة بجعلها قوانين إلهية؛ أمّا الاقتراح أو الرأي الذي يقول بوجود نماذج جنينية أصيلة لدى بني إسرائيل لهذه الأعياد، فيبدو كما يقول "ريدفورد"[٤]: "شطحة من شطحات الخيال".

ويمكن هنا إيجاز هذه الأعياد على النحو التالي:

أ- عيد الفطير חַג הַמַּצּוֹת:

أُطلق على هذا العيد تسميات مختلفة، منها: عيد الفصح، وعيد الربيع، وعيد الحرية. وزمن هذا العيد هو فصل الربيع على عادة الحضارات القديمة في المنطقة؛ فقد توافق هذا العيد مع بدء الحصاد لدى الكنعانيين، ولهذا يُعد في الأصل عيداً زراعياً أخذه بنو إسرائيل من الكنعانيين[٥]، وصبغوه بصبغة القداسة، حيث جعلوا منه عيداً للاحتفال بخروجهم من أرض مصر(خر٢٣:١٤-١٥)، إذ يمثل لديهم بداية للسنة العبرية؛ وفي هذا العيد يؤدي بنو

---

(2) Baron(SaloWittmayer), A Social And Religious History Of The Jews, Vol1, Ancient Times, Part1, Columbia University Press, New York, 1952, p.6.

(١)المقصود بالمبدأ الحلولي - أن الإله حال في العالم، في كل جزء منه، وكذلك العالم حال كله في الإله.

(٢)ثابت(الياس)، كشف النقاب عن حقيقة الكتاب، المجلد الأول، الجزء الأول، مطبعة المرسلين اللبنانيين، ١٩٣٣م، ص٤٨.

(٤)ريد فورد(دونالد)، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، ترجمة: بيومي قنديل، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، المشروع القومي للترجمة، العدد: (٥٩٨)، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٥٨٠.

(٥)موسكاتي(سبتينو)، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ت)، ص٣٢٣؛ وانظر ايضاً: حسن، التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية "السامية" القديمة، ص١٦٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إسرائيل طقوس خاصة استحدثوها، وقد تم وصف هذه الطقوس في الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج[١].

ورواية التوراة بشأن هذا العيد، فيها اضطراب. إذ أنه ووفقاً للإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج(١-٢٠)، يُعتبر عيد الفصح وعيد الربيع عيدا منفصلان، أمّا طبقاً لما ورد في سفر التثنية(١٦:١-٨) يُعد العيدان عيداً واحداً مدته ثمانية أيام، اليوم الأول للفصح، والأيام الباقية عيداً للربيع، على اعتبار أن عيد الفصح عيد بدوي قديم من أعياد الرعاة الذي تحتفل به كل أسرة من أسر العبرانيين ليلاً في مسكنها، حيث كانت هذه الأسر تقدم باكورة قطيعها قرباناً للقمر في أول الأمر، ثمَّ أصبحت تقدمه ليهوه فيما بعد لكي يبارك قطيعها ويكفل تكاثره؛ ولمّا كان موعد عيد الفصح في مستهل الربيع(١٤أبريل)، لذا ارتبط به عيدٌ آخر وجده بنو إسرائيل في كنعان، فجعلوه لاحقاً للفصح[٢].

ب- عيد الحصاد חַג הַקָּצִיר:

طبقاً لروايات التوراة، أشير إلى هذا العيد بتسميات مختلفة؛ ففي سفر الخروج(١٦:٢٣) يُطلق عليه "عيد الحصاد"؛ ويطلق عليه في السفر نفسه(خر٢٢:٢٤)وفي سفر التثنية(١٦:١٦،١٠)- "عيد الأسابيع"(חַגשָׁבֻעוֹת)؛ ويُطلق عليه طبقاً لسفر العدد(٢٨:٢٦)- "يوم البكورية"(יוֹם הַבִּכּוּרִים).

وموعد الاحتفال بهذا العيد يكون بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح[٣]. والذي يتضح من تسمية هذا العيد، بأنه عيد زراعي معروف لدى الشعوب القديمة، بل يُعد من أهم الأعياد لدى المصريين، علاوة على الكنعانيين[٤]، منحته الرواية اليهودية المتأخرة صبغة القداسة حتى أنها أطلقت عليه "عيد التوراة"(חַגהַתּוֹרָה)، كما أطلق عليه بعض اليهود

(١) عبد السلام(أحمد لطفي)، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢١؛ وانظر ايضاً: ظاظا(حسن)، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، ١٩٧١م،ص٢١٩.

(٢) موسكاتي(سبتينو)، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ت)، ص٣٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص٣٢٦.

(٤) عبد السلام، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، ص١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"חַגמַתְּנוּתוֹרָתֵינוּ"، أي "زمن منح شريعتنا"، وأصبح هذا العيد ذكرى لفرض الوصايا العشر على بني إسرائيل[١].

وهكذا، وعلى الرغم من أن ديانة بني إسرائيل قد أرادت في هذه المرحلة من مراحل تطورها، التحرر من الطبيعة كقوة مقدسة تستحق العبادة، إلّا أنها وكما يتضح من طبيعة طقوسهم المتبعة في الأعياد الآنفة الذكر، كانت أقرب إلى الطبيعة؛ فالدين في هذه المرحلة كان في صراع مع الفكر الطبيعي، ومع أنه خرج منتصراً في هذا الصراع، إلّا أنه لم يستطع فكرياً التخلص تماماً من كل ما هو طبيعي، فقد ظلت الطقوس والأعياد مرتبطة بالطبيعة وأحداثها، رغم محاولة ربطها بأحداث تاريخية، من خلال إحداث تغيير على المعنى الأساسي للأعياد، وذلك بإضافة شيء لها ومن ثم إبدالها لكي تتلاءم وأغراض التفسير التاريخي[٢]؛ وهو ما يعني أنه حتى ذلك الوقت لم يكن هناك إدراك على المستوى الديني الشعبي بأي اختلاف عن الدين الكنعاني قبل غزو بني إسرائيل لأرض كنعان[٣].

ومهما يكن من أمر، فإنه وطبقاً للنظرة العنصرية التي تحلى بها محررو العهد القديم، فقد تم وضع طقوس عهد سيناء لبني إسرائيل وحدهم دون باقي البشر، وتم تكيفها حسب كيانهم، بحيث لم يكن من الممكن إقامة معظم هذه الشعائر إلّا بواسطة الجماعة بأسرها، بل إن هذه الشعائر لا فائدة لها إلّا من خلال وجود مكان تستقر فيه تلك الجماعة(أي دولة)؛ وهو ما يدعو للشك في صحة صلة هذه الطقوس بالقوانين الإلهية، لا سيما وأن جل اهتمام تلك الطقوس كان باختيار بني إسرائيل فحسب:"لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ(تث١٤:٢). كما أن هذه الشعائر، برغم تكونها على كثير من الوصايا الأخلاقية، إلاّ أن هذه الوصايا لا يمكن وصفها بأنها تعاليم أخلاقية مشتركة بين الناس، بل يمكن

---

(١)عبد المجيد(محمد بحر)، اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨، ص١٣٤؛ وانظر ايضاً: موسكاتي،الحضارات السامية القديمة، ص٣٢٨؛ وانظر ايضاً: ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، ص٢٢٩.

(2)Baron(SaloWittmayer), A Social And Religious History Of The Jews, Vol1, p.5.

(٣)حسن،التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية "السامية" القديمة، ص١٧٠-١٧١؛ وانظر ايضاً: Kent, A History 0f The Hebrew People From The Settlement In Canaan To The Division Of The Kingdom, p.41.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصفها بأنها أوامر تكيفت بوجه خاص طبقاً لفهم جماعة بني إسرائيل وحدها، هذا إذا ما علمنا بأن تطبيق تلك الشرائع إنما كان الغرض منه المنفعة المادية الدنيوية المحسوسة مثل، امتلاك أرض كنعان وطرد شعوبها، والتكريم، والشهرة، والانتصارات، واللذات، وسلامة البدن، وهو ما يتضح من خلال عدة نصوص ورد ذكرها في مواضع متعددة من العهد القديم، ومنها:

*«أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ»(خر ٢٠:١٢؛ وانظر تث٥:١٦).

*«لِكَيْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَحْفَظَ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ وَوَصَايَاهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنُ ابْنِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، وَلِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ. فَاسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ وَاحْتَرِزْ لِتَعْمَلَ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ وَتَكْثُرَ جِدًّا، كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ فِي أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً»(تث٦:٢-٣).

*"احْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا. وَاعْمَلِ الصَّالِحَ وَالْحَسَنَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ، وَتَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ أَنْ يَنْفِيَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ. كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ»(تث٦:١٧-١٩).

*«وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هذِهِ الأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَا، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لآبَائِكَ، وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ: قَمْحَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ وَنِتَاجَ بَقَرِكَ وَإِنَاثَ غَنَمِكَ، عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ لآبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا. مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِيكَ وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ. وَيَرُدُّ الرَّبُّ عَنْكَ كُلَّ مَرَضٍ، وَكُلَّ أَدْوَاءِ مِصْرَ الرَّدِيَّةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا لاَ يَضَعُهَا عَلَيْكَ، بَلْ يَجْعَلُهَا عَلَى كُلِّ مُبْغِضِيكَ»(تث٧:١٢-١٥).

*"فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ تَتَلَذَّذُ بِالرَّبِّ، وَأُرَكِّبُكَ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ الأَرْضِ، وَأُطْعِمُكَ مِيرَاثَ يَعْقُوبَ أَبِيكَ، لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ»(أش٥٨:١٤).

فكانت شريعة موسى تبعاً لما سبق، مهيأة لأن تتلاءم مع التكوين الخاص "لشعب" بعينه، وتهدف إلى المحافظة عليه، ولم تكن بذلك شريعة شاملة لجميع الشعوب[1].

(1) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٠٥، ٢٠٦-٢٠٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن خلال هذه الدراسة لقانون عهد سيناء والتاثيرات المصرية عليه يمكن رصد النتائج التالية :

- أن جميع القوانين المدنية الجنائية الواردة في عهد سيناء، ليست قوانيناً خالصة لبني إسرائيل؛ فإن معظم هذه القوانين مستعار من قوانين الشرق القديم، وأن الاختلاف الجوهري بينهما، هو إضفاء صبغة القداسة عليها.

- أن القوانين والأحكام الدينية الخاصة بالأعياد ومواقيتها مستعارة من الكنعانيين، إذ أن بني إسرائيل لم يكونوا ليعرفوا هذه القوانين قبل دخولهم واستقرارهم في أرض كنعان، وأن الإضافة الجديدة التي أضفوها على هذه الأعياد، هي جعلها أعياداً دينية صادرة من الرغبة الإلهية بهدف إضفاء صبغة القداسة عليها.

- أن التجديد الذي أضافته ديانة بني إسرائيل، والذي يمكن أن يكون خاصاً بها، هي تحريم عبادة آلهة أخرى(خر٢٠:٢-٥، ٢٢-٢٣؛ تث٥:٧-٩). وهذا التجديد يعود إلى طبيعة ديانة بني إسرائيل، التي انتقلت من التفكير الطبيعي التجسيدي للآلهة إلى فكرة التوحيد الديني للإله.

- أن هذه القوانين لطالما ركزت على امتلاك أرض كنعان وطرد شعوبها، مما يثير الشكوك في صلة هذه القوانين بالقانون الإلهي، ومما يزيد من هذه الشكوك، أن هذه القوانين كانت موجهه إلى جماعة بني إسرائيل تحديداً دون غيرها من الأمم أو الشعوب الأخرى؛ وهو ما يعني خصوصيتها وعدم شموليتها.

المحور الثالث- التأثيرات المصرية على تشريعات عهد سيناء:

احتلت مصر مكانة بالغة في تاريخ بني إسرائيل، فقد اعتبرها بنو إسرائيل قدرهم. إليها لجئوا وبها لاذوا وفيها عاشوا ومنها خرجوا، والأهم من ذلك أنهم تلقوا شريعتهم المقدسة على أرضها. وتظهر مكانة مصر في الفكر الديني الإسرائيلي من خلال احتلالها الجزء الكبير من المادة التاريخية والتشريعية الواردة في مصادر التشريع، لا سيما في العهد القديم، فوفقاً لـ "ابن شوشان אבן שושן"[1]، ورد اسم مصر في العهد القديم حوالي ستمائة

(1) קונקורדנציה חדשה לתנ"ך، הוצאת קרית ספר، ירושלים، 1988، עמ' 700.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وثمانون مرة، ووردت صفة النسب إلى مصر، سواء للمفرد المذكر أو المفرد المؤنث أو جمعهما، حوالي تسع وعشرون مرة؛ في حين يؤكد محرر الموسوعة العبرية[١]، أن مصر ظلت تستخدم كحافز عكسي لتحذير اليهود من المعاصي بسبب ارتباطها بذكرى العبودية.وإذا كانت سمة جماعة بني إسرائيل أنها كانت قد تأثرت في معظم تشريعاتها بتشريعات وعادات وتقاليد الشعوب الأخرى، فإن التأثيرات المصرية على رأس هذه التأثيرات، نظراً لارتباطها بظهور التشريع على موسى في سيناء على أرض مصر، وهو ما دفع بالباحث "جيمس هنري برستيد"[٢]، إلى إرجاع التطور الثقافي والحضاري والديني لبني إسرائيل إلى الثقافتين المصرية والبابلية.

لقد سبق أن تحدثت التوراة في سفر التكوين(٤٦:٣٤؛ ٤٧:٥)، أن بني إسرائيل عندما قدموا إلى مصر، أنهم استوطنوا في أرض "جاسان"[٣] وكوّنوا مجتمعا هناك. ويبدو أنه نتيجة لطول فترة إقامة بني إسرائيل في مصر التي تحددها التوراة بـ "أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً"، كان أن استهوتهم بعض الآلهة المصرية، لا سيما قبل تلقيهم الشريعة على يد موسى، فكانوا أشد ميلاً لعبادة العجل "أبيس"(*Apis*)، معبود الدلتا، الذي حدد الكهنة المصريون له علامات معينة؛ فكان إذا ولد في ماشية بني إسرائيل عجلاً له نفس المواصفات التي حددها هؤلاء الكهنة، أخذ بنو إسرائيل بتقديسه، ومن ثم بيعه للمصريين بأثمان باهضه[٤].

يُذكر أن عبادة الثور "أبيس" في مصر تعود في أصولها إلى عهد السلالة الأولى(٣١٠٠ق.م) على أقل تقدير؛ فقد تم العثور على مدافن لثيران من هذا النوع، العائدة إلى الفترة المحصورة ما بين القرنين الرابع عشر والقرن الأول ق.م، لاسيما تلك المدافن التي تم العثور عليها في معبد "سيرابيس"، والتي بلغ عددها أربعة وعشرين مدفناً تتوزع في الزمن بين عهد رعمسيس الثاني(١٢٩٩-١٢٣٢ق.م)إلى العهد اليوناني. وعلى الرغم من

---

(١)האנציקלופדיה העברית: כללית، יהודית וארצישראלית،כרךעשרים וארבעה، חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ، ירושלים، תל- אביב، עמ' 232.

(٢) فجر الضمير، ص٣٣.

(٣) جاسان، هي منطقة خصيبة في مصر تحتوي على مراعي كثيرة للقطعان والمواشي، وتقع هذه الأرض في شرق الدلتا، وتعرف اليوم باسم "الشرقية".

(٤) عبد السلام، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، ص١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن عبادة "أبيس" كانت من أشهر العبادات، إلّا أنها لم تكن الوحيدة من نوعها، فعبادة الكبش كانت من العبادات الشائعة في الدلتا[١]. وهذا شأن الديانة المصرية القديمة التي كانت غالباً ما تتجسد بآلهة ذات أشكال حيوانية، تحل فيها القوة الإلهية وتحظى بسلطان وسيطرة كونية، حسب الاعتقاد السائد في ذلك الوقت[٢].

وخلال رحلة خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى، وبعد ظهور المعجزات والخوارق على يديه، استمر بنو إسرائيل بالاحتفاظ بهذا الموروث المصري الذي حملوه معهم، وظل هذا الموروث مختزناً بكل ماديته في فكرهم، إذ لم يستطع موسى أن يقنعهم بالإيمان الصحيح والبعد عن الوثنية المصرية[٣].

ثمّ تشير القصة الواردة في سفر الخروج بعد ذلك، إلى غضب موسى بسبب تأثر جماعته بعبادات المصريين لدرجة أنه رمى لوحي الشهادة، اللذين "هُمَا صَنْعَةُ الرب" والكتابة التي فيهما هي كتابة الرب التي نُقشت على اللوحين، وكسرهما في أسفل الجبل(خر٣٢:١٥-٢٠)، رغم أن هذين اللوحين كانا بمثابة شهادة على التزام بني إسرائيل بالمحافظة على الوصايا العشر التي نُحتت على اللوحين، فكان كسرهما إنما يعني إلغاء ذلك الالتزام، وذلك تبعاً للعرف السائد لدى شعوب الشرق القديم. ويذكر "موشيه وينفلد"[٤] بهذا الخصوص: أن موسى لم يقم بكسر الألواح ضعفاً أو غضباً، بل بعد تدبر وتفكير في الأمر منذ البداية، فإن نقض الالتزام الأول من الوصايا العشر "لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا"، قد أدى إلى تناثر الألواح التي نُحت عليها الالتزام".

وفيما يتعلق بالوصايا العشر، فإن من اللافت للنظر هو وجود ما يشابه تلك الوصايا في الفلكلور المصري القديم؛ فقد وجدت هناك نصوص توضح تعاليم الناموس في مصر

---

(١) بارندر(جفري)، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد:(١٧٣)، الكويت، ١٩٩٣، ص٤٠؛ وانظر ايضاً: أيمار(أندريه) وآخرون، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، ترجمة: فريد م. داغر وفؤاد أبو ريحان، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت- باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص٨٧-٨٨.

(٢) Bright (john), A History of Israel, Printed By Offset In Great Britain, p.33.

(٣) ליבוביץ(י)، הסטוריה וערכים، הוצאת הסתדרות הסטודנטים، ירושלים، 1982، עמ' 144.

(٤) ויינפלד(משה)، עשרת הדברות- ייחודם ומקומם במסורת ישראל، מאמר מידע.
http://mikranet.cet.ac.il/pages/item.asp?item=13047

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القديمة، ويبدو أن هناك تشابهاً بين هذه النصوص ونصوص الوصايا العشر من حيث صيغة: "افعل، ولا تفعل"، ومنها قصة شعبية تروي حياة فلاّح مصري فصيح اللسان، وحسن الكلام، يخاطب أحد الملوك المصريين، قائلاً له:

"يا مولاي: اقطع دابر اللصوصية، وارحم البائسين والمساكين، ولا تكن إعصاراً يطيح بمن جاء يشتكي ظلامته. أجر عدل ملوك العدل، واعمل بحسب القول المأثور الذي خرج من فم "رع" نفسه، قل الحق، وأت العدل، فالعدل قوة، والحق شيء عظيم، وكلاهما راسخ رسوخ الجبال الشوامخ"[1].

والذي يتضح من خلال هذه النصوص، أنها تضمنت على مجموعة من الوصايا الأخلاقية شأنها في ذلك شأن نصوص الوصايا العشر؛ بمعنى أن هذه القيم الأخلاقية لم تكن خاصة بشريعة بني إسرائيل، بل كانت سائدة لدى الشعوب القديمة، لا سيما في مصر القديمة.

لقدعاش أسباط بني إسرائيل سنوات طويلة في عالم الحضارة البابلي والمصري، وقد خرجوا من مصر الآن. وكان موجودا في هذه البلدان نظام قضائي، سادت فيها قوانين رفيعة، بحسب مفاهيم ذلك العصر. كما كان موجوداً قانون دولي، كان يدافع عن الأجانب. كان موجوداً أدب حكمة أخلاقية اشتمل على أوامر حول فعل الخير والمعروف، وتوقير الأب والأم، وقول الحق وغيرها. ماذا كان التجديد في هذا العالم الحضاري في وصايا حول القتل والسرقة وغيرها؟ ماذا كان التجديد فيها الآن، بعد ثمانية قرون بعد حمورابي؟ فضلاً عن ذلك، أن العهد القديم نفسه يعترف ويشدد على أن الدستور التشريعي الأخلاقي كان سائدا في العالم منذ فترة الخليقة وأن كل الشعوب كانت خاضعة له، منذ أيام قابيل، جيل الطوفان، سدوم وغيرها، يعاقب الرب كل إنسان وكل شعب على الخطايا الأخلاقية. فما كان السبب في أن يضع العهد القديم لعهد سيناء مكاناً تاريخياً بعد هذا الدستور التشريعي العالمي؟ما الذي تفردت به الوصايا العشر، ولماذا حظيت بأن تكون القمة في علاقة بني إسرائيل بإلههم؟[2].

([1]) إيمار(وآخرون)، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، ص٥٣.

([2]) קויפמן(יחזקאל)، תולדות האמונה הישראלית מימי קדם עד סוף בית שיני، כרך שני، עמ'68- 69.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن مما يبدو أن هذه الوصايا كانت موجودة منذ القدم في ديانات الشعوب القديمة، ومنها ديانة مصر القديمة، هذا إذا ما استثنينا منها، الوصية التي تحرم على بني إسرائيل عبادة آلهة أخرى مع الرب يهوه(خر٢٠:٣)، فهذه خاصة بديانة بني إسرائيل، التي انتقلت كما سبق أن ذكرنا، من التفكير الطبيعي للآلهة إلى فكرة التوحيد الديني للإله؛ يضاف إلى ذلك، أن هذه الوصايا عندما أُعطيت لموسى كانت مكتوبة بعكس الوصايا السابقة لعصر موسى، والتي لم يتم تدوينها في شريعة مكتوبة. أمّا بقية هذه الوصايا، فيفترض أنها كانت معروفة لموسى ولجماعته، وأنهم كانوا يعيشون في ظلها في مصر، فهي من الأمور البدهية لشعب متحضر يقيم لنفسه دولةً ونظاماً، وله قيمه ومثله العليا وقواعده الأخلاقية؛ بمعنى أن تشريعات «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ»[1]، هي تحصيل حاصل بالنسبة لشعب مصر، وإلاّ بماذا نفسر هروب موسى نفسه إلى مديان، عندما قتل الرجل المصري(خر٢:١٢-١٥)، ألم يكن بسبب ارتكابه جريمة القتل. إذن كان القتل جريمة يعاقب عليها القانون المصري، وكذلك المر بالنسبة للسرقة وشهادة الزور وجميع النواهي الأخرى[2]. إذ أن الاعتقاد السائد لدى المصريين القدامى، أن إله الموت "أوزريس" سيحاكم الناس بعد موتهم من خلال محكمة متكونة من اثنين وأربعين قاضياً، وهو ما عظّم الرادع النفسي لدى المصريين، وأفضى إلى استنكارهم لمثل هذه المنكرات[3].

وبناءً عليه، فإنه لا يوجد ما يبرر لذلك الزعم القائل، بأن الوصايا العشر هي قمة الأخلاق الإسرائيلية[4]، بسبب شيوع معظمها في الشرق القديم، في فترات سابقة على عصر موسى بزمن طويل.

---

(1) خر٢٠:١٢-١٧.

(2) إبراهيم(موسى مطلق)، وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل، دار ومكتبة التراث الأدبي، بيروت-لبنان، (د.ت)، ص٥٩.

(3) بريستد(جيمس هنري) ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، العدد:(٤)، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص١١٢.

(4) ויינפלד، עשרת הדברות- ייחודם ומקומם במסורת ישראל، מאמר מידע.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نتائج البحث:

وبعد توصل الباحث للنتائج الآتية:

١- إن جميع القوانين المدنية الجنائية الواردة في تشريعات عهد سيناء، ليست قوانيناً خالصة لبني إسرائيل،إذ أن معظمها مستعار من قوانين الشرق القديم، وأن الاختلاف الجوهري بينهما هو في إضفاء صبغة القداسة عليها.

٢- إن وجود أكثر من نص للوصايا العشر، علاوة على اختلافها، يؤكد أن كاتب نصوص العهد القديم، ومن ضمنها نصوص الوصايا العشر، لم يكن موسى(عليه السلام)، وإنما كان ذلك ن صياغة المحررين الذين جاءوا بعد موسى.

٣- القوانين والأحكام الدينية الخاصة بالأعياد ومواقيتها مستعارة من الكنعانيين، إذ أن بنـ رائيل لم يكونوا ليعرفوا هذه القوانين قبل دخولهم واستقرارهم في أرض كنعان، وأن الإ ة الجديدة التي أضفوها على هذه الأعياد، هي في جعلها أعياداً دينية صادرة من الر الإلهية بهدف إضفاء صبغة القداسة عليها.

٤- ن التجديد الذي أضافته ديانة بني إسرائيل، والذي يمكن أن يكون خاصاً بها، هي تحريم عبادة آلهة أخرى، وهذا التجديد يعود إلى طبيعة ديانة بني إسرائيل، التي انتقلت من التفكير الطبيعي التجسيدي للآلهة إلى فكرة التوحيد الديني للإله.

٥- أن هذه القوانين لطالما ركزت على امتلاك أرض كنعان وطرد شعوبها، مما يثير الشكوك في صلة هذه القوانين بالقانون الإلهي، ومما يزيد من هذه الشكوك، أن هذه القوانين كانت موجهه إلى جماعة بني إسرائيل تحديداً دون غيرها من الأمم أو الشعوب الأخرى؛ وهو ما يعني خصوصيتها وعدم شموليتها.

٦- لقدعاش بنو إسرائيل سنوات طويلة في عالم الحضارة البابلي والمصري، وكان موجوداً في هذه البلدان نظام قضائي سادت فيها قوانين رفيعة بحسب مفاهيم ذلك العصر؛ بما يعني أن تلك النظم لم تكن خاصة ببني إسرائيل دون سواهم.

٧-تتضح التأثيرات المصرية على بني إسرائيل على مستويات عدة، لا سيما على المستوى الديني، وهو ما يتضح من التشابه الموجود بين الوصايا العشر اليهودية وبين ما موجود في الفلكلور المصري القديم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المصادر والمراجع:

١ـ المصادر والمراجع العربية:

أ- المصادر العربية:

- الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٨١م.

- الكتاب المقدس، كتب الشريعة الخمسة، دار المشرق، بيروت، لبنان، دار الرهبانية اليسوعية، ١٩٨٥م.

- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة وذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، مجمع الكنائس في الشرق الأوسط، دار مكتبة العائلة، الطبعة الخامسة عشر، بيروت- لبنان، ٢٠١١م.

ب- المراجع العربية:

-إبراهيم(موسى مطلق)، وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل، دار ومكتبة التراث الأدبي، بيروت-لبنان، (د.ت).

- أيمار(أندريه) وآخرون، تاريخ الحضارات العام الشرق واليونان القديمة، ترجمة: فريد م. داغر و فؤاد أبو ريحان، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت- باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

- بارندر(جفري)، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد:(١٧٣)، الكويت، ١٩٩٣م.

- بباوي(وليم وهبه)، دائرة المعارف الكتابية، ثمان مجلدات، الطبعة الثانية، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

- بريستد(جيمس هنري) ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، العدد: (٤)، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

- برستيد(جيمس هنري)، فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، سلسلة المصريات، العدد:(٩٩)، مكتبة الأسرة، القاهرة، (د.ت).

- برستيد(جيمس هنري)، انتصار الحضارة(تاريخ الشرق القديم)، ترجمة: أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، العدد:(١٨٠٩)، القاهرة، ٢٠١١م.

- ثابت(الياس)، كشف النقاب عن حقيقة الكتاب، المجلد الأول، الجزء الأول، مطبعة المرسلين اللبنانيين، ١٩٣٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- جرينبرج(جاري)، ١٠١ أسطورة توراتية (كيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي)، ترجمة: دينا إمام، دار العين للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة،١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

- حسن(محمد خليفة)، التفكير التاريخي والحضاري عند الشعوب العربية "السامية" القديمة، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

- دوفو(رولان)، بنو إسرائيل مؤسساتهم وتشريعاتهم في ضوء العهد القديم، ترجمة: عبد الوهاب علوب، في مجلدين، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد: (٤٢)، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- ريد فورد(دونالد)، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، ترجمة: بيومي قنديل، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، المشروع القومي للترجمة، العدد: (٥٩٨)، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

- سميث (مونت.و)، العهد رحلة من الاغتراب إلى المصالحة، ترجمة: عاطف المرفوض، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.

- الشامي(رشاد عبدالله)، الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

- صالح (عبد العزيز)، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٢م.

- ظاظا (حسن)، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، ١٩٧١م.

- قنوهل(إسرائيل)، من أين جئنا؟ بنو إسرائيل النشأة والتطور الديني الشفرة الوراثية للعهد القديم، ترجمة: عمرو زكريا، مكتبة النافذة، (د.ت).

- عبد السلام(أحمد لطفي)، جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي وامتداده إلى الدولة الإسرائيلية، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- عبد المجيد(محمد بحر)، اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م.

- عبودي(هنري.س)، معجم الحضارات السامية، جروسبرس، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي وأصل التشريع دراسة مقارنة لشرائع الشرق القديم، ترجمة: أسامة سراس، دار علاء الدين، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣م.

- موسكاتي(سبتينو)، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ت).

- هويدي، فكرة العهد نشأتها وتطورها في الديانة اليهودية من خلال العهد القديم، القاهرة، ١٩٨٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- المصادر والمراجع الأجنبية:

- A dictionary of the Bible, edited by James Hastings,Vol2, New-York, 1911.
- Baron(Salo Wittmayer), A Social And Religious History Of The Jews, Vol1, Ancient Times, Part1, Columbia University Press, New York, 1952.
- Bright (john). A History of Israel, Printed By Offset In Great Britain, London, 1966.
- Kent (Charles Foster), A History 0f The Hebrew People From The Settlement In Canaan To The Division Of The Kingdom, Charles Scribner's Sons, New York, 1929.

٣- المصادر والمراجع العبرية:

- אופנהיימר، הנביאה הקדומה בישראל، האוניברסיטה העברית، ירושלים، תשמ"ד (1984).

-האנציקלופדיה העברית: כללית، יהודית וארצישראלית، חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"ם، ירושלים، תל- אביב.

- ויינפלד(משה)، עשרת הדברות- ייחודם ומקומם במסורת ישראל، מאמר מידע. http://mikranet.cet.ac.il/pages/item.asp?item=13047

- ליבוביץ(י)، הסטוריה וערכים، הוצאת הסתדרות הסטודנטים، ירושלים، 1982.

- קויפמן(יחזקאל)، תולדותהאמונההישראליתמימיקדמעדסוף־ביתשיני، כרדשני، הוצאתמוסדביאליקירושלים- דביר، תל- אביב، הדפסהשמיניתבדפוסכתרירושלים، תשל"ב(1972).

- קונקורדנציה חדשה לתנ"ך، הוצאת קרית ספר، ירושלים، 1988.

- תנ"ך: ספר תורה נביאים וכתובים، לונדון، 1983.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner